عبد القادر محمد علي | نشر في ٤ فبراير ٢٠٢٠,

"الكيرو" .. صناع التغيير في إثيوبيا إلى أين يقودونها؟

يقال إن الكيرو (Qeerroo) وفقًا للغة الأورمو تعني الشاب الذي كانت وظائفه تتمحور تقليديًا حول الزراعة والاهتمام بالماشية والصيد، إلى أن حمل العام 2014 وما بعده معنى جديدًا للكيرو.. إنهم من غيروا وجه إثيوبيا!

الأورمو من الشعوب الكوشية العريقة في منطقة القرن الإفريقي وأكبر القوميات الإثيوبية عددًا، حيث تبلغ نسبتهم 35% من مجموع السكان، يغلب عليهم الإسلام ووصف المستكشف الروسي ألكسندر بلاوتفيتش أراضيهم (أوروميا) بأنها "يتدفق فيها الحليب والعسل" كناية عن غناها، إذ تمثل 51.2% من إنتاج المحاصيل و45.1% من المساحة المزروعة بمحاصيل مؤقتة و44% من إجمالي عدد الماشية في إثيوبيا، كما تزخر بالرواسب المعدنية مثل الذهب والبلاتين والنيكل وخام الحديد ومواد البناء الأخرى غير المعدنية وغيرها، وبفضل مواردها الطبيعية الهائلة والمتنوعة فإن المنطقة لديها فرصة كبيرة للاستثمار، فهناك أكثر من 761 مشروعًا استثماريًا في المنطقة، برأس مال قدره 3.4 مليار بر.

ومن المفارقات أن هذه الميزات كانت من العوامل الأساسية في معاناة الأورومو من أباطرة إثيوبيا التاريخيين من قومية الأمهرة، كتيودروس ويوهانس الرابع ومنيليك الثاني، الذين بنوا إمبراطوريتهم على إضعاف وتفتيت مجتمعات الأورمو، لدرجة أن بعض الباحثين يرون أن تاريخ البلاد يمكن تلخيصه بالصراع بين الأمهرة والأورمو.

كفاح لا ينقطع

شهدت الخمسينيات من القرن الماضي بداية مرحلة جديدة من كفاح الأورمو القائم على المناداة بالمساواة بين إثنيات إثيوبيا وحماية الهوية القومية من محاولات "أمهرتها" المستمرة، انتهاءً بانعطافة جذرية مع تشكيل جبهة تحرير أورومو (OLF) عام 1974 رافعة لواء حق تقرير المصير وإنشاء دولة أوروميا المستقلة، التي ما زالت تداعب الكثير من القوميين الأورومو حتى اليوم.

ورغم مشاركة الجبهة في الحكومة والبرلمان المؤقتين إثر سقوط نظام الدرق في أديس أبابا 1991

فإنها سرعان ما انسحبت منهما، ورأت أن الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي (TPLF) تقود البلاد نحو سلطة الحزب الواحد تحت ستار التعددية من خلال ائتلاف الجبهة الثورية الديمقراطية لشعوب إثيوبيا فيه العليا الكلمة صاحبة التيغراوية الجبهة تعتبر التي (EPRDF).

أدى الصدام المبكر بين الجبهتين إلى حظر (OLF) والتضييق على أنصارها، وفي ظل السياسة القمعية التي انتهجها نظام الرئيس الراحل ملس زيناوي أضاف الأورمويون فصلًا جديدًا إلى مراراتهم من أنظمة الحكم المتعاقبة على أديس أبابا التي عملت على تهميشهم وتقويض أي أساس لنهضة ذاتية لمجتمعاتهم.

وكان العام 2014 محوريًا في هذا السياق، حين أعلنت الحكومة "خطة التنمية الإقليمية المتكاملة لأديس أبابا ومنطقة أوروميا المحيطة" التي كانت ستؤول إلى إخراج الآلاف من مزارعي أورومو من أراضيهم، مما أدى إلى انفجار الاحتجاجات في مدينة أمبو وتطورها لاحقًا بشكل دراماتيكي وظهور الكيرو (Qeerroo).

الكيرو

كيرو كلمة أورومية تعني الشاب، لكنها اكتسبت بُعدًا مفاهيميًا مختلفًا منذ احتجاجات 2014، حيث أصبحت تدل على شباب وشابات الأورومو المناهضين لجبهة تحرير تيغراي المهيمنة على مقاليد السلطة في البلاد.

هذا الحراك الثوري الذي ضم في صفوفه الطلاب باختلاف مراحل دراستهم والمزارعين والموظفين والعاطلين عن العمل، استطاع أن يشكل حالة سياسية شعبية عفوية احتضنها الأورومو ووجدوا فيها منقذًا لهم من التهميش التاريخي، ومدافعًا عن أرض أوروميا.. الأرض التي هي مركز الصراع الرئيسي في التاريخ الإثيوبي.

ولا ريب أن "الجدا" كان مؤثرًا في صياغة وجدان الكيرو، وهو نمط من الديمقراطية التقليدية الإفريقية، تنظم الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية لمجتمعات الأورومو، وشكلت نوعًا من

الأيدلوجية السياسية المضادة للحكم السلطوي الذي لطالما عانته إثيوبيا على يد أباطرتها ثم رؤسائها.

مع تصاعد قوة الكيرو وحضورها في المشهد السياسي الذي دفعت ضريبته بآلاف القتلى والمعتقلين، استلهمتها مجموعات شبابية من إثنيات إثيوبية مختلفة كفانو في إقليم الأمهرة وبربريتا في الإقليم الصومالي وغوليدم في إقليم غامبيلا.

الكيرو ووسائل التواصل الاجتماعي

صارعت الكيرو لأربع سنوات معتمدة على السرية في عملها وحشد الشباب في المظاهرات السلمية والإضرابات، وأدركت مبكرًا أهمية وسائل التواصل الاجتماعي في التنظيم وتبادل المعلومات والحفاظ على سرية تحركاتها ومباغتة السلطة بخطوات غير متوقعة، ممّا اضطر الأخيرة إلى إلغاء مشروع تطوير العاصمة عام 2016، لكن سقف المطالب كان قد تجاوز ذلك إلى المناداة بالتغيير السياسي في البلاد.

اعتماد الكيرو والحركات الشبيهة بها على وسائل التواصل الاجتماعي يفسر حجب الحكومة للإنترنت قبل آبي أحمد وفي أثناء الاضطرابات في عهده، ولعل هذا الاعتماد المبكر على التقنية يفسره أيضًا بدء التظاهرات في جامعة مدينة أمبو غرب أوروميا، التي يتوافر فيها مستوى عالٍ من التعليم الخاص والعام، ومنها إلى عموم الإقليم، وما تلا ذلك من دعم تقنيين متخصصين لهذا الحراك.

أثرت وسائل التواصل الاجتماعي في إيصال صوت هؤلاء المحتجين وكان ملموسًا داخل البلاد وخارجها، وتردد صداه في جاليات المهجر ولا سيما في مينيسوتا الأمريكية، حيث يقيم جوهر محمد الناشط والسياسي الأورومي الشاب الذي تبنى هذا الحراك مبكرًا وأمد المحتجين بالمشورة والمعلومات والتحليلات من خلال شبكة أوروميا للإعلام التي أسسها 2003، ووصفه بالأب الروحي لكيرو، رغم رفضه إياه، يعد مؤشرًا واضحًا على مدى نفوذه وتأثيره في أوساط هؤلاء الشباب.

الكيرو وآبي أحمد.. صانع الملك والمتمرد عليه

بشكل غير متوقع أجبر هؤلاء الشباب أحد أقوى الأنظمة الإفريقية على الاستجابة لمطالبهم بعد أن وصلت البلاد إلى حافة انفجار عرقي، واستقال رئيس الوزراء هيلي مريام ديسالين، وفي أبريل/نيسان 2018 تسيد قصر منيليك في أديس أبابا نجم المرحلة الشاب آبي أحمد، في تغير تاريخي يضع أول أورومي في سدة السلطة بإثيوبيا.

اتخذ آبي أحمد العديد من الإجراءات التي كانت مطالب رئيسية للمحتجين نحو فتح باب المصالحات السياسية مع القوى المعارضة في الداخل والخارج ومنها OLF، والعمل على إجراء مصالحات خارجية لا سيما مع إريتريا والإفراج عن المعتقلين السياسيين وإجراء تغييرات إدارية تضمنت محاسبة بعض الموظفين الفاسدين، ممّا أدى إلى انخفاض وتيرة الاضطرابات في إقليم أوروميا بشكل كبير.

اندلعت من جديد اضطرابات وصراعات عرقية في البلاد يتهم الكيرو بأنهم طرف أساسي فيما شهدته من جرائم

غير أن شكاوى الكيرو ما لبثت أن تصاعدت من رئيس الوزراء الشاب نتيجة عوامل متعددة منها ما هو مرتبط بطموحات قومية متعلقة بالأورومو يرون أن أحمد ليس ممثلًا لها كما كان يتصورون، واتهامه بالتباطؤ في إجراء تغييرات جذرية في الهيكل الإداري تتضمن إقالة ومحاسبة الفاسدين، وضعف البنى التحتية في مناطقهم والبطالة والنقمة على إجراءات أمنية اتخذها، بل وصلت الاتهامات عند البعض إلى وصفه بأنه مشروع طاغية!

وهكذا بدأ الصدام بين السلطات والكيرو، واندلعت من جديد اضطرابات وصراعات عرقية في البلاد يتهم الكيرو بأنهم طرف أساسي فيما شهدته من جرائم، ولعل انتقال العلاقة الدراماتيكي بين جوهر محمد وآبي أحمد من الدعم إلى العداء والمنافسة في الانتخابات القادمة (مايو/أيار 2020) يلقي ضوءًا كاشفًا على تردي العلاقة بين الكيرو والأخير.

ومثلت أحداث 28-23 من أكتوبر/تشرين الأول 2019 مؤشرًا بالغ الخطورة، فما إن نشر جوهر محمد في صفحته على الفيسبوك أن عناصر حراسته أُمروا بالانسحاب، فيما يبدو تمهيدًا لمحاولة اغتياله، حتى تجمع المئات من الشباب حول منزله، وهزت الاحتجاجات بعض مدن أوروميا وأدى ذلك إلى مواجهات

عنيفة بين الكيرو وقوات الأمن، وبين الأولى وقوى من جماعات عرقية أخرى، أدت إلى سقوط 83 قتيًلا، فيما بدا "بروفة" للمدى الذي قد تصل إليه الكيرو في التمرد على الدولة من جهة، ومدى ولائها لجوهر محمد من جهة أخرى، وطرح أسئلة مقلقة عن ردة فعلها في حال كانت العملية الانتخابية أو نتائجها سببًا لتطورات غير متوقعة.

يرى باحثون على أن الكيرو استطاعت تحقيق إنجاز تاريخي سواء بالنسبة للأورومو أم لإثيوبيا، لكن بعضهم في المقابل يؤكدون أن هذه القوة تفتقد للخبرة والنضج السياسيين المانعين لها من الانسياق وراء دعايات الأحزاب المتصارعة، كما أن التعقيدات المتراكمة منذ عقود طويلة في البلاد تلقي بظلالها السلبية على الوضع السياسي عمومًا، ممّا يطرح التساؤل عن خيارات الكيرو فيما بعد الفترة الانتقالية وهل ستصب في تأمين استقرار البلاد أم أنها ستخرج عن السيطرة، الأمر الذي يخشاه الجميع.

رابط المقال: https://www.noonpost.com/35835/